المنهج الأنثروبولوجي وأدواته بين النظري والتطبيق

The anthropological approach and its tools between theory and practice

خالد خواني[1، *]

[1] جامعة الشهيد حمّة لخضر، الوادي (الجزائر).khaledkhouani@gmail.com

تاريخ الاستلام:28-05-2021 تاريخ القبول: 14-11-2021 تاريخ النشر: 30-12-2021

ملخص: يعتبر المنهج الأنثروبولوجي من البحوث الكيفية، ويعتمد أساسا على الدراسات الميدانية لأن دراسة الجانب الاجتماعي أو الثقافي لأي مجتمع يفرض على الباحث التقرب من عينة الدراسة ومعايشتها. يضع الأنثروبولوجي عامة تصورات الدراسة الأساسية بعد نزوله إلى حقل الدراسة حتى لا يصطدم مع واقع لا يعكس ميولاته البحثية، أو يقع في تناقضات لا تخدم الدراسة.

يهدف الباحث في هذه الدراسة إلى إبراز الأدوات المستخدمة في الدراسات الأنثروبولوجية، وقد يقع الباحث في اشكال كيفية تطبيق هذه الأدوات خاصة أثناء استخدامه للمقابلة أو الملاحظة أو تحليل الصور التي التقطها عن موضوع الدراسة. كما تستلزم الضرورة البحثية في العديد من الحالات استخدام أكثر من أداة للإلمام بحيثيات أي دراسة ذات الطابع الأنثروبولوجي. أدرجنا في ختام الدراسة نماذج تطبيقية لدراسات أنثروبولوجية تبين الأدوات المستخدمة والنتائج المستخلصة.

الكلمات المفتاحية: أنثروبولوجيا؛ منهج أنثروبولوجي؛ منهج؛ منهجية؛ أدوات المنهج الأنثروبولوجي.

Abstract: The anthropological approach is considered as qualitative research, and it mainly depends on field studies, because to study the social or cultural aspect of a society, the researcher must approach and live the daily life of this society. The anthropologist generally defines the basic concepts of his research after a field study so that it is realistic and does not contradict his research trends.

The researcher aims in this study to highlight the tools used in anthropological studies, and the anthropologist may have problems how to apply these tools, especially when using the interview, observation or analysis of photos taken on the subject of the study. in many cases anthropological studies require the use of more than one tool to become familiar with the merits of the study. At the end of the study, we included models applied for anthropological studies showing the tools used and the results obtained.

Keywords: anthropology ; anthropological method , method; methodology; the tools of the anthropological method.

* المؤلف المراسل

1-مقدمة:

يتميّز المنهج العلمي الذي يعتمد البحوث الميدانية بارتباطه الوثيق بين النموذج النظري والنموذج المنهجي، والمنطوي بالتالي على استخدام التقنيات الكميّة في الدراسات الأنثروبولوجية، والذي يشبه – إلى حدّ بعيد- ذلك الارتباط بين النظرية والمنهج في العلوم الحديثة والمعاصرة.

تلتزم البحوث الأنثروبولوجية بالسياق الشمولي، وهذا يعني أننا عندما نبدأ دراسة موضوع ما، على افتراضنا الأساسي أن يكون "الجهل" بالحياة العامة لمجتمع الدراسة، أي أننا ببساطة لا نعرف ما هي العوامل التي تؤثر في حياة من ندرسهم وكيف تؤثر وتتأثر؟ قد يكون الجندر، الدين، العمل، أو العائلة. أضف إلى ذلك أن أياً من هذه العوامل لا يمكن عزله لتقديم ارتباط إحصائي يعول عليه، لأننا – في الحياة الواقعية – لا يمكننا ذلك.

تفرض طبيعة البحوث الأنثروبولوجية النزول إلى ميدان الدراسة، حيث يذهب الأنثروبولوجي لكي يقوم بعمله إلى مجتمع الدراسة الذي اختاره موضوعاً لبحثه، فيستمع إلى أحاديثهم ويزور بيوتهم، ويحضر طقوسهم ويلاحظ سلوكهم العادي ويسألهم عن تقاليدهم، ويتآلف مع طريقة حياتهم حتى تصبح لديه فكرة شاملة عن ثقافتهم، أو يحلّل جانباً خاصاً من جوانبها. فعالم الأنثروبولوجيا، في عمله هذا، إثنوغرافي وجامع للمعلومات، يحلّلها ويربطها بمعلومات أخرى، عندما يرجع من الميدان .(هرسكوفيتز، 1974، 85). وفي ذلك جانب علمي تطبيقي. فيواجه الباحث في بداية دراسته الميدانية مشكلة الدور الذي يجب أن يؤديه في مجتمع الدراسة للحصول على البيانات والمعلومات الصحيحة ،حيث مع وجود الباحث في مجتمع الدراسة قد يدفع الأفراد موضع الملاحظة إلى تغيير سلوكهم العادي أو إلى الإدلاء بأقوال لا تعبّر عن الواقع، وذلك لشعورهم بأنهم خاضعون لملاحظة غيرهم ولذلك وجب على الباحث أن يقوم بدور ما في المجتمع حتى يقبله أفراد المجتمع وكأنه أحدهم وبالتالي يكتسب ثقتهم ويضعف شعور العداء لديهم فيجمع المعلومات الصحيحة.

ترتكز منهجية إجراء المقابلة مثلا في البحوث الأنثروبولوجية على سمات لا بد من توفّرها خاصة مدى القدرة التواصلية التي يجب أن تتوفر عند الذي يجري المقابلة مع المبحوث حتى يستطيع الحصول على كافة المعلومات الصحيحة التي تخدم الدراسة.

في الكثير من الحالات يفتقر الباحث الأنثروبولوجي للدعم المادي لتغطية كافة مراحل البحث من سفر والإقامة وكل المتطلبات التي يحتاجها، مما يضطره لتأجيل بعض المراحل أو إلغائها مما يؤثر على نتائج البحث.

فالتساؤل الرئيسي الذي اعتمدناه في دراستنا وهو كما يلي: ما هي المنهجية والآليات المناسبة التي يجب أن يتبعها الباحث خلال إجراءه لدراسة ذات الطابع الأنثروبولوجي؟

تكمن أهمية الدراسة في توضيح المنهجية والتقنيات المناسبة لإجراء البحوث الأنثروبولوجية لإنجاحها، أما الأهداف الأساسية من وراء الدراسة هو تناول كافة الخطوات اللازمة والأدوات الضرورية أثناء إجراء دراسة أنثروبولوجية للوصول للأهداف المرجوة من البحث.

2- المفاهيم الأساسية المرتبطة بالدراسة:

2-1- المنهجية والمنهج:

1.1.2. المنهجية: هي العلم الذي يبيّن للباحث كيفية إجراء بحثه، أو هي الطريقة التي يسلكها الباحث منذ عزمه على البحث في موضوع اختاره حتى الانتهاء منه. كما هي جملة من الإرشادات والتقنيات والوسائل التي

تساعد الباحث في مراحل بحثه والغرض منها هي تعليم الطالب البحث العلمي وتنمية الروح العلمية فيه وتسهيل مهمته في البحث.(حفيظي، 2014، 34).

2.1.2. المنهج: يتفق جل المختصين على أن المنهج هو الطريقة المتبعة. يعرفه "عبد الرحمن بدوي" على أنه الطريق المؤدي على الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة.(مروان، 2000، 98). كما يعرفه "موريس أنجرس": بأنه مجموعة منظمة من العمليات تسعى لبلوغ هدف.(انجرس، 2004، 98).

3.1.2. المنهج العلمي: هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة الأفكار المتعددة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها، أو للبرهنة عليها للآخرين حين نكون عارفين بها.(بوحوش والذنيبات، 2007، 102). كما أنه مجموعة من القواعد والأنظمة العامة التي يتم وضعها من أجل الوصول إلى حقائق مقبولة حول الظواهر موضوع الاهتمام من قبل الباحثين في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية.(عبيدات وآخرون، 1999، 35).

تكمن أهمية المنهج العلمي في كونه الوسيلة المناسبة لزيادة معارفنا وقدراتنا في دراسة الظواهر المختلفة والمعقّدة عامة وفق قواعد عملية وتطبيقية مضبوطة.

تتعدّد المناهج العلمية وتختلف من علم لآخر، أما المنهجية فهي جملة من القواعد الثابتة عموماً، كما أن المناهج تُنتقد وتُقوّم بفضل ما لها وما عليها وأيها أولى بالاتباع، وما المنهج المناسب لكل نوع من الدراسات؟ أما المنهجية فهي معايير وتقنيات يجب الالتزام بها لتوفر الجهد والوقت وتتحقق الموضوعية.(العسكري، 2004، 10).

2-2- أنثروبولوجيا:

الأنثروبولوجيا في معناها اللغوي " علم الإنسان " أو علم دراسة الإنسان، أي العلم الذي يدرس الإنسان. (Nicholson, 1968, 1) . تعرّف الأنثروبولوجيا، بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معيّنة، ويقوم بأعمال متعدّدة، ويسلك سلوكاً محدّداً؛ وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبّؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوّره عبر التاريخ الإنساني الطويل. ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا) علماً متطوّراً، يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله.(أبو هلال، 1974، 9).

وتعرف الأنثروبولوجيا أيضاً، بأنّها علم (الأناسة) العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق، ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنّه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلّها، الذي يصنع الثقافة ويبدعها، والمخلوق الذي يتميّز عنها جميعاً.(الجباوي، 1997، 9) .

كما تعرّف الأنثروبولوجيا بصورة مختصرة وشاملة بأنّها " علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً "(شاكر، 1981، ص56) أي أنّ الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل عن أبناء جنسه، إنّما تدرسه بوصفه كائناً اجتماعياً بطبعه، يحيا في مجتمع معيّن له ميزاته الخاصة في مكان وزمان معينين .

ونتيجة لتنوع الأنشطة التي يقوم بها الإنسان، تبنى الأنثروبولوجيون التعريف اللغوي لعلمهم؛ ولذلك يحاولون دراسة الإنسان وكل أعماله، أي كل منجزاته المادية والفكرية، أي الدراسة الشاملة للإنسان. ولهذا فإن الأنثروبولوجيا هي أكثر العلوم التي تدرس الإنسان وأعماله شمولاً على الإطلاق. وهناك دلائل وشواهد عديدة

على هذا الشمول؛ فالأنثروبولوجيا تجمع في علم واحد بين نظرتي كل من العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية، فتركز مشكلاتها، من ناحية، على الإنسان العضو في المملكة الحيوانية، وعلى سلوك الإنسان العضو في المجتمع، من ناحية أخرى. ثم إن الأنثروبولوجيا لا تقتصر على دراسة أي مجموعة من الناس أو أي حقبة تاريخية. بل تهتم بالأشكال الأولى للإنسان وسلوكه بدرجة اهتمامها نفسها بالأشكال المعاصرة؛ إذ يدرس الأنثروبولوجي كلاً من التطورات البنائية للبشرية ونمو الحضارات منذ أقدم الأشكال التي وصلتنا عنها أي سجلات أو بقايا، فضلاً عن الاهتمام بالدراسات المقارنة في سياق اهتمامه بالجماعات والحضارات الإنسانية المعاصرة.

كما تحاول الأنثروبولوجيا كشف وتوصيف المعايير الفيزيقية، التي تميز الجنس البشري عن سائر الكائنات الحية الأخرى؛ وكذلك تلك المعايير التي تصلح للتمييز بين الأنواع العديدة داخل الأسرة البشرية نفسها. وتركز اهتمامها في الدراسة المقارنة للحضارات على أوجه الاختلاف والتشابه بين الثقافات، التي يمكن ملاحظتها بين الجماعات البشرية العديدة التي تعيش على سطح كوكب الأرض، وتحاول أن تحدد وتعرف القوانين أو المبادئ التي تحكم تكون المجتمعات البشرية وثقافاتها وتطورها.

وعلى هذا فإن مصطلح "الأنثروبولوجيا" مصطلح شامل وواسع؛ إذ يشمل دراسة الموضوعات المختلفة، كالتطور البيولوجي والحضاري للإنسان، والعلاقات البيولوجية بين المجتمعات المعاصرة، والمبادئ التي تحكم علاقات الشعوب بعضها بعض. بيد أن الموضوعات البيولوجية والاجتماعية هي موضوعات متداخلة ومتحدة لتركيزها المشترك على دراسة الإنسان؛ لكنها في الوقت نفسه موضوعات منفصلة ومستقلة بعضها عن البعض الآخر، بسبب تخصص علمائها، إما في الموضوعات الإنسانية أو الطبيعية.

3- نشأة الدراسات الأنثروبولوجية ذات الطابع التطبيقي:

نشطت الدراسات الأنثروبولوجية الميدانية، بشكل واسع وازدهرت، في أعقاب الحرب العالمية الثانية حيث لجأت الدول المستعمِرة، ولا سيّما (أمريكا، بريطانيا وفرنسا) إلى تشجيع هذه الدراسات على الشعوب التي تستعمرها، بغية التوصّل إلى معارف دقيقة عن الأنظمة السياسية والاجتماعية السائدة عند هذه الشعوب، والتي تنعكس في أحوالها الشخصيّة والمعيشية، بما في ذلك من طقوس دينية وعادات وتقاليد، وأساليب تعاملية بين أفراد المجتمع.

وهذا كلّه يسهّل على الدول المستعمِرة إدارة الحكم في مجتمعات الشعوب المستعمَرة، واستغلال مواردها الاقتصادية ونهب خيراتها، بذريعة تنميتها وتطويرها.

وهكذا، برزت الأنثروبولوجيا الميدانية والتطبيقية كعلم يساعد في تحقيق أمرين أساسيين في المجتمعات المدروسة وهما كما يلي:

–حلّ المشكلات الناتجة عن الإدارة والحكم المحلّي، في المجتمعات البدائية والمحلية.

–معالجة مشكلات التغيير الحضاري السريع في هذه المجتمعات، والمساعدة في التكيّف المناسب.(ناصر، 1985، 82).

4- أسس ومبادئ الدراسات الميدانية الأنثروبولوجية:

تتمثّل الأسس الهامة في الدراسات الأنثروبولوجية بميادينها المختلفة في إقامة الباحث في مكان دراسته،

يعايش الجماعة كما هي في الواقع، ويحصل على كلّ ما يريده من علاقات وقيم وعادات وأنماط حياة، تحدّد طبيعة هذا المجتمع وهويته الثقافية. ولذلك، فإنّ ثمّة مبادىء أساسية – كما يرى مالينوفسكي– لا بدّ أن يستند إليها الأنثروبولوجي في بحثه الميداني، وهي:

–أن يكون الباحث الميداني ملمّاً إلماماً تامّاً بالمعلومات الأنثروبولوجية، وأن يكون لديه هدف علمي واضح لموضوع بحثه .

–أن يعيش الباحث (الأنثروبولوجي) الميداني، في المجتمع الذي يدرسه، ويقطع اتصاله بالعالم الخارجي بصورة تامّة، ويحصر اهتمامه بالجماعة التي يدرسها.

–أن يطبّق عدداً من الأساليب، في جمع المعلومات وتبويبها وتفسيرها.. أي أنّ عليه أن يستخدم طرائق عدّة مختلفة من طرائق البحث الميداني، لأنّ بعض الطرائق التي يمكن أن تصلح لدراسة ظاهرة أنثروبولوجية محدّدة، قد لا يصلح تطبيقها في دراسة ظاهرة أخرى. (ناصر، 1985، 83) ولكن بما أنّ الأنثروبولوجي عامل واحد فحسب، في الحالة الميدانية، فإنّ الطريقة المثلى ليست دائماً، هي الطريقة التي يحسن استخدامها، إذ يجب إن يأخذ الجماعة التي يدرسها في الحسبان، لأنّ تصوراتها وأحكامها المسبقة ومخاوفها، هي التي قد تهيمن على الميدان. وهذا الموقف العام الذي لا يلقى الاهتمام الكافي من الباحث الأنثروبولوجي، هو من صميم العنصر الإنساني الذي تجب دراسته بعناية فائقة .

–التحلّي بالتجرّد العلمي الذي يتطلّب طرحاً قاطعاً لكلّ أحكام القيمة. إذ يجب على الباحث في الثقافة الإنسانية أن يلاحظ تقاليد الشعب الذي يدرسها ويصفها، شأنه في ذلك شأن العالِم الكيميائي الذي يكرّس نفسه، لفهم العناصر التي يحلّلها وفهم سلوك كلّ منها في علاقته مع العناصر الأخرى. (هرسكوفيتز، 1974، 87).

ساد الاعتقاد لسنوات عديدة في مجال البحث الأنثروبولوجي الميداني، أنّ الأشخاص الراشدين هم وحدهم القادرون على إعطاء الباحث صور حقيقية عن الثقافة، فإنّ هذا الاعتقاد لا يصحّ اليوم، لأنّ الثقافة هي ما تصنعه الثقافة، وتنوّع السلوك المقبول لدى الجماعة، يسمح بأن يتّخذ الرجال سلوكاً مغايراً لسلوك النساء، وأن يتّخذ سلوك الأحداث سلوكاً مغايراً لسلوك الراشدين، ولذلك فإنّ أفضل طريقة يتبعها العالم الأنثروبولوجي في البحث عن الثقافة، هي أن يتحدّث إلى الرجال والنساء، والأحداث والراشدين، وملاحظة أكبر عدد من الأفراد، وفي أكثر ما يمكن من الأوضاع. (هرسكوفيتز، 1974، 99).

كما أصبحت أشكال العلاقات والمشاركات المختلفة، بين الأنثروبولوجيين والناس الذين هم موضع الدراسة، تشكّل نقطة هامة لدى مراجع الأنثروبولوجيا، وتتعلّق بما يثيره عالم الأنثروبولوجيا من تساؤلات، باعتبارها وسائل وأدوات لا بد منها لتفسير تلك الألغاز الأنثروبولوجية .

تتطلّب الدراسة الميدانية (الحقلية) ما هو أكثر من وجود الباحث ومراقبته السلبية لما هم عليه الناس. وذلك، لأنّ الباحث يحتاج – غالباً– في ملاحظته، إلى التحرّي عن أكثر ما يظهر في أوّل الملاحظة، والإطار المرجعي (النظري) يمدّه بمجموعة من التساؤلات والموضوعات، وعندما يشاهد واقعة ما، يحاول أن يكتشف العلاقة بينها وبين الإطار المرجعي كلّه. (غانم وآخرون، 1989، 228).

5- الأدوات المستخدمة في البحوث الأنثروبولوجية:

واستناداً إلى المنطلقات السابقة، فقد أقرّ علماء الأنثروبولوجيا بعض الطرائق الميدانية التي يمكن اعتبارها أيضاً أدوات عمل فاعلة في العمل الميداني، ومنها : طريقة الاستبيان، طريقة الملاحظة المباشرة أو بالمشاركة، طريقة المقابلة، طريقة المقارنة، طريقة حالة حياة الفرد، الأدوات السمعية البصرية.

وإذا كان كلّ مفهوم نظري له بدائل إجرائية ، تستخدم للملاحظة والإجراء العلمي، فإنّ الفكرة ذاتها نجدها مطبّقة في الدراسة الأنثروبولوجية، حيث يستخدم الباحث أكثر من مقياس، وأكثر من طريقة للملاحظة، في دراسة النظم الثقافية / الاجتماعية.(Pretti, 1970, 89).

وهكذا، تختلف وسائل كلّ طريقة وفائدتها عن الأخرى، باختلاف الوضع الذي يجد الباحث نفسه فيه، وباختلاف نمط الثقافة التي يدرسها، أو اختلاف المشكلة الخاصة التي يدرسها.

5-1- طريقة الاستمارة (الاستبيان):

هي من أقدم الطرائق البحثية، وما زالت مستخدمة على نطاق واسع في كثير من الدراسات المسحية / الميدانية. وقد أخذت هذا الاسم من عنوان نشرة أصدرتها لجنة من المعهد الأنثروبولوجي الملكي، التابع لرابطة "تقدّم العلم البريطانية" عام 1875، ثمّ جرت عليها خمس تنقيحات، إلى أن ظهرت الطبعة السادسة منها عام 1951 .

قامت فكرة إعداد استمارة شاملة تغطي جوانب الثقافة المادية، وغير المادية، على ادّعاء الباحثين بأنّ ثقافات الشعوب البدائية جميعها، مهدّدة بالزوال، ولذلك، يجب الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات، طالما هذه الشعوب موجودة. وتؤدّي هذه الطريقة إذا استعملها ملاحظ غير مؤهّل للبحث الأنثروبولوجي، إلى جمع الكثير من الوقائع، ولكنّها تعطي القليل من المعلومات، سواء عن كيفيّة ارتباط هذه الوقائع كلّ منها في الكلّ الذي يؤلّف الثقافة، أو العنصر الإنساني في الحياة اليومية لدى شعب من الشعوب .

ولكنها – في المقابل – تساعد الأنثروبولوجي المختص، في التحقّق من النقاط التي يكون قد أهملها. وهذا ما دعا ناشري الطبعة السادسة إلى وصفها بأنّها " **مذكرة يدوية للأنثروبولوجي المختص الذي يقوم ببحث ميداني**".(هرسكوفيتز، 1974، 102)

وهذه الطريقة شبيهة بطرائق البحث في العلوم الاجتماعية. ففي الدراسات الأنثروبولوجية على المجتمعات المتقدّمة، يوزّع الباحث الاستمارة (الاستبانة) على الأفراد المدروسين، ويترك كلاًّ منهم يجيب عن الأسئلة بطريقته. غير أنّ أسلوب التنفيذ والتطبيق يختلف في دراسة الشعوب البسيطة (البدائية) التي لا تعرف الكتابة، حيث يقوم الباحث بطرح السؤال ويدوّن الجواب الذي يسمعه، وكذا الحال في الحوارات والمناقشات .

5-2- الملاحظة بالمشاركة:

في الملاحظة بالمشاركة يكون الباحث عضواً ممثلاً في البيئة المدروسة نتيجة لحالات يكون من الصعب دراسة ظاهرة معينة من الخارج، وهذه الصعوبة تتجلى في عدم الحصول على المعلومات الصحيحة.

تسمح الملاحظة بالمشاركة للباحث الكشف عن الواقع لأنه يكون عضوا طبيعيا في مجموعة الأفراد قيد الدراسة، كأن يشارك العمال في مؤسسة ما نشاطهم المهني دون أن يكشف أمره كفرد يقوم بعمل ما وهو يؤدي

مهمته كباحث. إلا أن هذه الأداة تثير الجانب الأخلاقي وذلك بالتدخل في شؤون الأفراد وحالاتهم الشخصية دون أن يعلموا بذلك. (مزيان، 1999، 98-99).

فمعايشة ومشاركة الباحث في الأنشطة الاجتماعية التي يمارسها أعضاء المجتمع قيد الدراسة، يتمكن من دراسة حيثيات ثقافتهم. وتعد هذه الطريقة من أهم طرق البحث الأنثروبولوجي وفي ذات الوقت من أصعبها، فأول مشكلة تقابل الباحث في هذا المجال – مشكلة الدور – الذي يجب أن يؤديه لكي يحصل على معلومات موضوعية، وتعود أهمية هذه المشكلة إلى أن تواجد الباحث في مجتمع ما قد يدفع الأفراد موضوع الملاحظة إلى تغيير سلوكهم العادي أو إلى الإدلاء بأقوال لا تعبر عن الحقيقة وذلك لشعورهم بأنهم موضع ملاحظة للغير.

فمن خلال الدور الذي يتقمصه على الباحث أن يتكلم لغتهم وأن يستخدم في تفكيره نفس التصورات أو المفاهيم السائدة ويشعر بالقيم التي يعتنقونها، ويعمل معهم ويشاركهم طعامهم واحتفالاتهم واجتماعاتهم (الدينية أو الشعبية) وجنائزهم وارتداء ملابسهم. وخلال فترة المعايشة ورصد الحركات والتصرّفات، على الباحث تدوين تقارير يومية عن كل ما يلاحظه من التعبيرات التي يبديها الأفراد في هذه المناسبات.(كلاكهون، 1964، 28). وعندما يتمكن من الإلمام بفكرة عامة عن أسلوب معيشة معينة يبدأ في التحليل والكشف عن عناصر الثقافة والتركيب البنائي للمجتمع حتى تصبح دراسته واضحة على مستوى التحليل العلمي.

ولكي تكون نتائج هذا المنهج موضوعية وناجحة، فقد وضع "إيفانس بريتشارد Pritchard Evans " عدة شروط لذلك أهمها:

- لكي ينزل الباحث إلى ميدان المعايشة لابد أن يمر بمرحلة تخصص ودراسة نظرية كافية في الأنثروبولوجيا عامة والعلوم الاجتماعية خاصة علم الاجتماع.
- على الباحث أن يقضي فترة كافية في الاشتراك مع أفراد المجتمع موضوع الدراسة في معيشتهم، وتحديد الفترة الكافية يرتبط بعوامل متعددة مثل حجم المجتمع وطبيعة المشكلة المراد دراستها، وعادة مالا تقل تلك الفترة عن عام.
- أن يكون الباحث طوال فترة الملاحظة على صلة وثيقة بأهالي المجتمع المدروس من خلال مشاركتهم جوانب حياتهم الاجتماعية.
- على الباحث أن يستخدم لغة المجتمع المدروس ولا يستخدم المترجم لأنه يفشل في نقل الأفكار والمعاني بدقة.
- على الباحث أن يدرس المجتمع دراسة كلية في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية حتى وإن كان بحثه ينصب حول موضوع محدد بالتفصيل.
- لابد من أن يتوفر في الباحث نوع معين من الشخصية والمزاج كي يتمكن من تكييف نفسه عقليا ونفسيا وجسميا مع ظروف المجتمع المدروس.
- على الباحث أن يتخلى عن قيمه وثقافته بقدر الإمكان حتى يستطيع تحقيق الملاحظة الموضوعية.
- يحتاج الباحث لمهارة أدبية في نقل، وصف وتحليل الثقافة المدروسة إلى لغة الباحث نفسه وهذا لا يعني أن يكون أديبا فحسب بل قادرا على التعبير بلغة واضحة وسليمة.

- **أهمية تقنية الملاحظة بالمشاركة:**

يعتمد بعض الباحثين على وسيلة الملاحظة بالمشاركة وذلك لميزاتها التالية:

–إمكانية الحصول على معلومات وفيرة عن مجتمع الدراسة.

–تكوين صورة واقعية للظاهر الملاحظ.

–الوصول إلى تحليل عميق وتفسير أكثر دقة.

–تتيح إمكلانية استخدام الحواس الخمس في جمع الحقائق.

–الملاحظ هو الذي يقرر ويحدد المعلومات وليس المبحوث.

–يعد مجتمع البحث عينة شاملة ويكون كل فرد في المجتمع مصدرا للمعلومات مما يتيح المجال الحصول على معلومات أكثر دقة وشمولية.

–تصلح لجمع المعلومات ممن لا يعرفون القراءة والكتابة مثل المجتمعات البدائية والأطفال وكبار السن.

5-3- **طريقة الملاحظة المباشرة بالمشاهدة :**

ويقوم هذا الأسلوب على مراقبة أو معاينة أفراد الفئة الذي تجري عليه الدراسة، في أثناء تأدية أعمالهم اليوميّة المعتادة. فعلى الباحث حضور المناسبات العامة التي يقيمها أبناء هذا المجتمع، كالحفلات والاجتماعات (الدينية أو الشعبية) وحلقات الرقص، ومراسم دفن الموتى، وغيرها .. ورصد الحركات والتصرّفات، وتسجيل ما يجدر تسجيله من حوارات وأغان وتراتيل، وما إلى ذلك من التعبيرات التي يبديها الأفراد في هذه المناسبات. (كلاكهون، 1964، 28).

فعلى الباحث ملاحظة دقائق الحياة اليوميّة كما تجري بين الناس .. وهكذا يرى الباحث عناصر الحياة اليومية تتكرّر مرّات ومرّات أمامه، وتصبح من الأمور العادية بالنسبة له. (غانم وآخرون، 1989، 227).

وتحتاج طريقة الملاحظة بالمشاهدة إلى أن يكون الباحث ملمّاً بأهداف بحثه وبطبيعة المجموعة المدروسة. وأن يتمتّع بقدر كبير من الاهتمام والوعي، بأبعاد الظاهرة التي يقوم بدراستها، وكيفيّة رصد هذه الأبعاد بدقّة وموضوعية، حيث يتوقّف على ذلك صدق المعلومات، وفائدتها العلميّة.

على الأنثروبولوجي أن يحاول أن يكون صديق الجميع، وهذا ما تتيحه معيشته بينهم، ومعايشته ظروفهم الحياتية البسيطة أو الصعبة . كما عليه تعلم السلوك المناسب – التكيف والاعتماد التدرجي لأساليب الناس الحياتية. على الأنثروبولوجي أن يتشبه بالحرباء، قدرته على تغيير سلوكه، مظهره، ولغته، لتناسب الجماعات المختلفة ضمن المجتمع المحلي الذي يدرسه، وهدفه أن يجعل الآخر مرتاحاً لحضوره، ليصبح تواجده طبيعياً.

بالطبع، لا بد من التوضيح أن الباحث قد قام بالتعريف عن نفسه وعن طبيعة بحثه الذي يجريه، وأخذ موافقات (مكتوبة أحياناً) من الإخباريين لاستخدام المعلومات التي يقدمونها، كما عليه أن يحمي مصادره من أي ضرر مادي أو معنوي، لذا يتم اللجوء إلى عدم ذكر الأسماء الحقيقية، وأحياناً يتم تغيير بعض التفاصيل (كالعمر أو العمل) طالما أنها لا تؤثر على نتائج البحث، وهذا من الشروط الأخلاقية للعمل الحقلي!

يلعب مظهر الباحث دوراً أساسياً في نجاحه أو فشله، إذ لا يمكن له أن يلبس ربطة عنق ليتواصل (فيصادق) عمال مصنع – لأنه سيشبه الإداريين لا العمال–، والباحثة قد تضطر للبس الحجاب إذا كان المجتمع

محافظاً لتقدر الاختلاط وكسب ثقة النساء. مثلا اضطر أحد الباحثين إلى ثقب أذنيه، وتبني الزي المحلي لكي يقدر على ممارسة عمله الإثنوغرافي .

على أسئلة الإثنوغرافي ألا تكون مباشرة، لذا فالجزء الأكبر من المعلومات سيتوفر عبر الثرثرة، والتي على الباحث أن يتأكد من مدى دقتها من أكثر من مصدر، ولاحقاً – بعد نشوء الصداقة والثقة – من ذات المصدر الذي قد يغير في بعض خبرياته (فهو قد يكون قال ما قاله سابقاً رغبة في إثارة الإعجاب أو إخفاءً للحقائق). (هذه معطيات ضرورية كذلك في الملاحظة بالمشاركة)

5-4- طريقة المقابلة:

1.4.5. تعريفها: يوضح "روبرت كاهن" أن المقابلة بمفهومها العام تعني مجموعة أعمال الاتصال الشخصي وأوجه نشاطه التي يكون فيها شخص في مركز الطالب لمعلومات من شخص آخر ويكون الأخير في مركز المعطي والمزوّد لتلك المعلومات للشخص الأول. أما في مفهومها الخاص تعني النمط أو الأسلوب المتخصص للاتصال الشخصي والتفاعل اللفظي الذي يجرى لتحقيق غرض خاص. بمعناها العلمي هي ذلك الاتصال الشخصي المنظم والتفاعل اللفظي المباشر الذي يقوم به فرد مع آخر أو أفراد آخرين هدفه استثارة أنواع معينة من المعلومات والبيانات لاستغلالها في بحث علمي أو الاستعانة بها في التوجيه والتشخيص والعلاج والتقويم. (مروان، 2000، 172).

ويعتبرها "رجاء محمود أبو علام" على أنها استبيان منطوق والخطوات الرئيسية لإعداد المقابلة هي نفسها خطوات إعداد الاستبيان الممثلة في تحديد المبررات، تحديد الأهداف، وضع الأسئلة، والاختبار القبلي، والفرق الأساسي بينهما أن المقابلة تتضمن التفاعل المباشر بين الباحث والمبحوث. (أبو علام، 2006، 415).

2.4.5. أنواعها: تصنف المقابلة حسب طبيعة الدراسة من حيث متطلباتها والهدف منها، وكذلك على طبيعة وخصائص الأفراد المراد مقابلتهم، عموما تصنف حسب خصوصية الدراسة.

من حيث التقنين يمكن تصنيف المقابلة إلى ثلاثة أنواع:

1.2.4.5. مقابلة موجّهة أو مقننة: وهي مجموعة من الأسئلة المفتوحة أو المغلقة (شبيهة بالاستمارة) يقوم الباحث بإعدادها سلفا ويطرحها في ترتيب معين يخدم تحصيل المعلومات اللازمة حول موضوع الدراسة.(Kakal , 2008).

2.2.4.5. مقابلة نصف موجهة: وهي تتضمن عدد لا بأس به من الأسئلة التي لم تصاغ مسبقاً. لقد انطلق الباحث في مقابلته من مجموعة مواضيع أو عناوين هي أشبه بدليل يمتلك فيه الباحث حيزاً كبيراً من الحرية والمرونة في طرح الأسئلة تبعاً للموقف أو المقابلة نفسها.(عبد المعطي، 2006، 281)، وتجدر الإشارة أن بإمكان الباحث إضافة أسئلة إلى عناوين فرعية حسبما تقتضيه الدراسة كما أن بإمكانه لفت النظر بطريقة غير مباشرة إلى بعض المواضيع إذا ما شعر أن المبحوث قد قام بإسقاطها من المقابلة.

3.2.4.5. مقابلة غير موجهة أو مفتوحة: وهي عبارة عن حوارات مفتوحة يتمكن فيها المبحوث من التكلم في أي جزئية تتعلق بموضوع البحث دون قيد ودون أن يحاول الباحث قطع الحديث إلا إذا شعر

بأن المبحوث قد ابتعد كثيراً عن موضوع البحث. (وصفي، 1981، 169). ويتلخص موقف الباحث هنا في أن يكون مستمعاً وملاحظاً جيداً، فهو يستمع لكل كلمة تقال وفي الوقت نفسه يلاحظ كل الإيماءات والإيعازات وحركات الأيدي وباقي أعضاء الجسم خلال الحديث، والاستماع يعني ألا يوجّه الباحث أفكار المبحوث بل يساعده فقط على أن يعبّر عنها بالصورة التي تخدم الدراسة (محجوب، 2005، 55-56) ، بمعنى أن المقابلات التي سيقوم بها في هذه الحالة ستتسم بالمرونة مع مراعاة الوضع الاجتماعي والعلمي والعمري والاقتصادي والطائفي ... إلخ للمتحدّث الذي قد يخرج عن موضوع المقابلة.

ومن ضمن الإيجابيات الكثيرة لهذه المقابلة هو حصول الباحث على عفوية المتحدّث الكاملة وحصوله على عناصر معرفية سيحلل مضمونها لاحقاً. وإذا كان ضعف التفاعل بين الباحث والمبحوث هو إحدى سيئات هذه المقابلة إلا أنه قد يتعدى هذه العقبة مستخدما التفاعل غير اللفظي بينه وبين المبحوث لتحفيزه على الكلام دون الشعور بالملل والضجر.

3.4.5 مزايا المقابلة: نذكرها كما يلي:

-تعد الطريقة الوحيدة التي تصلح مع الأميين والذين لا يجيدون الكتابة.

-تسمح مباشرة توضيح الأسئلة للمستجوب الغير مفهومة له.

-هي وسيلة للتحقق من صحة المعلومات لأنها تسمح للباحث بملاحظة ما يصاحب الإجابة من انفعال يظهر تأثيره على الوجه أو اليدين أو الصوت.

-تعد أفضل الطرق الملائمة لتقييم الصفات الشخصية وتشخيص ومعالجة المشاكل العاطفية والانفعالية.

-خلال المحادثة، تعطي للباحث فرصة الحصول على معلومات وتكوين اتجاهات معينة عن المستجوب، كما تسمح بتبادل الأفكار والمعلومات، مما يخلق جو من التفاهم والود بين الباحث والمبحوث.

4.4.5 خطوات إجراء المقابلة: بعد الانتهاء من الدراسة الأساسية يبدأ الباحث في إجراءات الإعداد لتنفيذ المقابلة وفق الخطوات التالية: (محجوب، 2005، 293)

- تحديد أهداف المقابلة.
- تحديد الأفراد الذين سيقابلهم وهم عينة ممثلة من مجتمع الدراسة.
- تحديد دليل المقابلة (الأسئلة).
- التدريب على المقابلة مع مجموعة من الزملاء.
- الحصول على إذن خطي من الجهة المسؤولة عن الأشخاص المراد مقابلتهم خاصة إذا أجريت أثناء فترة العمل حتى يطمئن العمال نفسياً.
- أثناء التنفيذ الفعلي للمقابلة يجب أن يشعر المبحوث بأهمية الموضوع وأن يقتصر مكان المقابلة على الباحث والمبحوث مع تأكيد على أن المعلومات لا تستعمل إلا لأغراض علمية وفقط، أي التأكد على سرية المعلومات التي يدلي بها أفراد العينة.

– على الباحث أن يبدأ بالأسئلة المحايدة ولا يبدي دهشته أو تصدر منه تصرفات ما عند سماعه لمعلومات معينة.

– كتابة وتسجيل كل ما يدور في المقابلة، ولا ينسى الباحث توظيف الملاحظة أثناء إجراءه للمقابلة. كما قد يستعمل الباحث آلة تسجيل حتى لا تغيب عنه أية معلومة، طبعاً بعد الاستئذان والسماح له بذلك.

يستلزم إجراء المقابلة في البحوث الاجتماعية تنبّه الباحث إلى ثلاث نقاط أساسية وهي :

- ملاءمة أحاديث المتكلم (أي من تجري معه المقابلة) لموضوع البحث.
- توفير جو من الثقة بين الباحث والمبحوث.
- الاهتمام بنوعية التفاعل ضمن المقابلة.

بناءً عليه فلإجراء المقابلة سمات منهجية لا بد من توفرها، ومن ذلك ضرورة التحفيز المستمر لمن تجري المقابلة معه وذلك بهدف الحصول على أكبر قدر من المعلومات، كما يفترض بالباحث أن يغيّر أسلوب مقابلته حسب تغيّر شخصية من يقابله، بمعنى آخر فإن عليه دائما أن يخلق جواً طبيعياً يشجع على الثقة والصراحة ويخفف من حدّة المسافة النفسية – الاجتماعية – الاقتصادية بين الباحث والمبحوث، أي أن العلاقة بين الاثنين يفترض ألا تتوسم بأي شكل من أشكال السلطة أو التراتبية الاجتماعية، فذلك قد يؤدي إما إلى الامتناع عن تقديم المعلومات أو تقديمها مشوهة (أحيانا كثيرة متطابقة مع آراء الباحث ووجهة نظره).

5.4.5 صعوبات المقابلة: قد تعترض المقابلة بعض الصعوبات المرتبطة إما بمن تجرى معه المقابلة وإما بالباحث نفسه، فقد يفرط المتكلّم في تقدير نفسه للتأثير على الباحث وقد يُظهر صعوبات في الفهم وأحياناً يحيد في كلامه عن هدف المقابلة. وقد يكون الباحث نفسه سبباً لبعض الصعوبات كعدم التمرّس والتدريب أو عدم الموضوعية أو عدم الجهوزية الكاملة للمقابلة .

وللتخلص من هذه الصعوبات يفترض بالباحث تبني استراتيجية منهجية تحفّز المتكلم على عدم التكتم وتقديم المعلومات بصدق وأمانة معتمداً بذلك على:

- تفعيل الثقة بين الطرفين.
- عدم إصدار أحكام شخصية تصدم المتكلّم وتمنعه من الكلام.
- التحلي بالبساطة والهدوء والتهذيب والرزانة وحسن التعبير.
- ضرورة خلق جو مناسب يُطمئن إلى سرية المقابلة وموضوعيتها.

ويفترض بالباحث أن يقرن المقابلة بالملاحظة، فيلاحظ كل ما هو ذو دلالة سواء لجهة التعابير اللغوية والمفاهيم المستخدمة أو لجهة حركات الجسم واليدين وتعابير الوجه؛ ومن حسن إدارة الباحث للمقابلة أن يحسن اختيار المكان والزمان الملائمين وتحديد دقيق للمدة الزمنية التي تستغرقها المقابلة.

وإذا كان "روجرز C . Rogers" قد أكد على أن استكشاف "مسألية البحث في المقابلات يكون بالانتقال تدريجياً من السطحي والبسيط إلى العميق والمعقد، إلاّ أنه يجب التنبه إلى ما قاله "كوفمان J.C. Kaufmann"وهو أن الأحاديث المجمّعة من المقابلات لا تستوجب إعتبارها حقيقة مطلقة ولا تشويه منظّم لهذه الحقيقة، إنها أحاديث معقّدة، غالبا ما تكون متناقضة، غير أن فيها غنى غير منظور، وهذا ما يسمح – عبر

تناقضاتها – بتحليل نسق الهوية، وهو ما يقدّم أيضا منطلقات من أجل ملاحظة الأنساق الاجتماعية الغامضة.(Kaufmann, 1995, 268).

تجدر الإشارة إلى أهمية استخدام تقنيات تسجيل المقابلة شرط الموافقة المؤكدة للأمانة العلمية، ذلك أن التسجيل يساعد الباحث على إعادة النظر في المعلومات التي قيلت ويسمح بتأملها مرة أخرى قبل تفريغها في نص مكتوب.

5-5-طريقة المقارنة:

لا يجب على الأنثروبولوجي أن يكتفي بوصف قطاعات الثقافة في المجتمع موضوع الدراسة بل عليه أن يعمل على تحليل المعلومات الوصفية ليس فقط لتحديد أنماط العلاقات الاجتماعية وإنما لفهم الثقافة ككل ويتم ذلك عن طريق الكشف عن الوظائف الاجتماعية التي تؤديها النظم الاجتماعية والكشف عن التأثيرات المتبادلة بين النظم الاجتماعية وباقي نظم الثقافة، وبعد أن يكشف الباحث الأنثروبولوجي عن طبيعة الثقافة والأنماط الاجتماعية الأساسية، يقارن تلك الظواهر الاجتماعية والثقافية بمثيلاتها في المجتمعات الأخرى. وكل دراسة جديدة لمجتمع ما تساعد على توسيع مجال المقارنة، ويجب عند المقارنة استخدام الدراسات الميدانية التي يقوم بها الأنثروبولوجيون المتخصصون، ولا يجب الاعتماد هنا على الدراسات الميدانية التي يقوم بها الرحالة ورجال الصحافة وغير المتخصصين .

5-6-طريقتي تاريخ حياة الفرد والاختبارات النفسية:

يستخدم الأنثروبولوجي أثناء الدراسة الميدانية طريقة تاريخ حياة الفرد وتتلخص في تدوين أهم الأحداث التي تمر في حياة بعض أفراد المجتمع موضوع الدراسة، حيث يقص على الباحث تاريخ حياته منذ الصغر حتى اللحظة التي يتحدث فيها، وتبادل الثقة بين الباحث والمبحوث هنا ضرورية لإضفاء الموضوعية على المعلومات المقدمة وكذلك لعدم الإخفاء المقصود لبعض المعلومات.

أما طريقة الاختبارات النفسية فتستخدم لتحديد خصائص شخصية أفراد المجتمع موضوع الدراسة ومن أمثلة تلك الاختبارات اختبار "رورشاخ"Rorschach ، ويتكون ذلك الاختبار من عشر لوحات رسم على كل لوحة صورة مكبرة لنقطة حبر قذف بها على ورقة فاتخذت شكلا غير منتظما ويطلب من الشخص أن يصف ما يمكن أن يتصوره من أشكال عندما ينظر لكل لوحة وعلى أساس ما يقرره الشخص يمكن التوصل إلى تحديد بعض خصائص شخصيته، وكثيرا ما يستخدم الاختبارات النفسية الأنثروبولوجيون الذين يتخصصون في تحديد العلاقة بين الشخصية والثقافة في مجتمع ما.

5-7-الأدوات السمعية والبصرية:

مع تطور تكنولوجيات السمعي البصري استعمل بعض الأنثروبولوجيين أدواتها ، وفي مقدمة هذه الأدوات نذكر السمعية والبصرية التي رأى في أهميتها مثلا الأنثروبولوجي المصري الشهير أحمد أبو زيد أن الصور من أهم الأدوات ليس فقط كوسيلة للتوضيح، ولكن كأداة فعالة وسهلة وبسيطة لتلخيص المواقف المعقدة في (لقطة) واحدة سريعة قد يحتاج شرحها وتحليلها لملء عشرات الصفحات. وكان من رأيه أن الصورة تقرأ كالنص المكتوب وإن احتاجت إلى خبرة ويقظة ومران. وأشار إلى أن التصوير قد أصبح يؤلف فرعًا جديدًا هو الأنثروبولوجيا

البصرية أو المرئية، له مؤلفاته وأساتذته، ودورياته المتخصصة. وفي ما يتعلق بالتسجيل الصوتي فرأى أنه يرتبط باعتبارات أخلاقية ترتبط بضرورة الحصول على موافقة المبحوثين، وهي أداة تتيح الفرصة للتحليل اللغوي الدلالي.

6- نماذج تطبيقية:

1.6. الثأر في المجتمع العربي: يقدم سعيد المصري ملخصا عن دراسة أحمد أبو زيد حول الثأر في الوطن العربي والذي يكثر في المجتمعات الزراعية نجملها كما يلي (أبو زيد، 1965):

أولاً: الثأر نظام اجتماعي وليس جريمة: انطلق أحمد أبوزيد في دراسته من مبدأ وظيفي يرى أن الثأر نظام اجتماعي يرتبط بالبناء الاجتماعي السائد والظروف البيئية والاقتصادية التي يمارس في ظلها.

ثانياً: التكتل القرابي يؤجج عداوات الثأر: حالات الثأر لا تتم بين أفراد من حيث هم أفراد ولا حتى بين الأسر الصغيرة التي يتألف كل منها من الوالدين والأبناء الصغار، وإنما يحدث الثأر بين الوحدات القرابية الكبيرة في التنظيم القبلي والتي تعرف بالبدنات وتضم مئات من الأفراد. وهذا التكتل القرابي يقوّي الضبط الداخلي في كل جماعة قرابية عن طريق إخضاع جميع الأعضاء لسلطان العائلة ككل، مما يكفل عدم خروج أي فرد على تقاليد الأخذ بالثأر السائدة في البدنة التي ينتمي إليها.

ثالثاً: الثأر من قيم الرجولة: ينشأ الثأر في المجتمعات ذات الثقافة الأبوية، وفي هذا الصدد يشير أبوزيد إلى أن قيمة الذكر الاجتماعية تعتبر أعلى من قيمة الأنثى؛ لأن وجود الذكر في العائلة أو القبيلة أو العشيرة يضمن استمرارها في الوجود بفعل الانتساب إلى الذكور. والرجولة تعني القدرة على الأخذ بالثأر.

رابعاً: الثأر يرتبط بالفقر والصراع على الخير المحدود

يشير أبوزيد إلى أن صغر حجم الحيازات الزراعية على العموم وارتباطه بانخفاض المستوى الاقتصادي العام معناه عدم وجود تفاوت اجتماعي شديد بين السكان في القرية، بحيث لا يتيح ذلك الفرصة لقيام علاقات السيطرة من ناحية والخضوع من ناحية أخرى بين تلك الجماعات والعائلات. ولهذا يسود الشعور العام لدى كل جماعة قرابية بأنهم متساوون في مكانتهم بمقدار ما لديهم من رجال، وأن التعدي على الأرض وحدودها هو تعد على الذات الاجتماعية للجماعة يؤدي في الأغلب إلى القتل والثأر.

خامساً: ضعف الدولة يعزز نظام الثأر: يحدث الثأر في المجتمعات المغلقة التي تقوم على الروابط القرابية والضبط الاجتماعي غير الرسمي. ففي تلك المجتمعات يسود العرف وعدم الاكتراث بآليات الضبط الاجتماعي الرسمي ممثلاً في القانون والشرطة.

سادساً: الحلول الممكنة للقضاء على الثأر: يمكن القضاء على الثأر في المجتمعات العربية بعملية التغيير الاجتماعي الشامل للبنية الاجتماعية التقليدية التي يعمل في ظلها نظام الثأر. وفي هذا الإطار يعد التعليم، بلا شك، عنصراً حاسماً في بناء البشر على أسس جديدة تقوم على الاحترام والعمل المشترك والمواطنة واحترام سيادة القانون، وتحرر الفرد من قيود الجماعة القرابية والعصبيات التي تغذي نظام الثأر. كما أن برامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الشاملة كفيلة على المدى البعيد بأن تخلق مجتمعاً جديداً يخلو من الثأر.

سابعاً: تأثير دراسة الثأر في البحوث الأنثروبولوجية العربية.

إن ما قدمه أبوزيد مازال يحتفظ أيضاً بقيمته الرائدة في ترسيخ مبادئ علمية شكلت معالم أساسية في تاريخ الأنثروبولجيا العربية، وذلك على النحو التالي:

- **توطين المنهج الأنثروبولوجي الوظيفي:** اعتمد أبوزيد في إجراء هذه الدراسة على مبادئ التحليل الوظيفي الذي يتبناه في كل بحوثه ودراساته، وبهذه الدراسة تمكن أبوزيد من توطين البحث الأنثروبولوجي لأول مرة في مصر والعالم العربي. لقد كانت دراسة الثأر بشمولها ودقتها وبساطة عرضها بمنزلة دليل عملي لكل من يرغب في اكتساب مهارات البحث الأنثروبولوجي بكل سهولة. كما كانت الدراسة أيضاً تطبيقاً عملياً غير مسبوق في إجراء دراسة أنثروبولوجية لا تقل دقة وإحكاماً عما ينشر من دراسات مماثلة في الغرب.
- **توظيف البحث الأنثروبولوجي لأغراض عملية:** أما في ما يتعلق بالقيمة العملية أو التطبيقية لدراسة الثأر؛ فقد كان أبوزيد حريصاً على إمكان توظيف المعرفة التي توفرها دراسة الثأر في تبصير الحكومة المصرية بالطرق الملائمة للقضاء على ظاهرة الثأر. وضع أحمد أبو زيد البحث الأنثروبولوجي في خدمة قضايا التنمية والتحديث في ذلك الوقت. كان حريصاً على أن توفر دراسته عن الثأر إطاراً جيداً لتحسين السياسات الاجتماعية في مواجهة ظاهرة الثأر. ولم يكن هدف الدراسة تبرير سياسات الحكومة في التصدي لهذه الظاهرة، بل على العكس من ذلك فقد وجّه أبوزيد أعنف نقد علمي لسياسات الحكومة الفاشلة في فهم الثأر وأساليب التعامل الأمني والقانوني القاصرة في التصدي له. ولكل هذه الأسباب كان أبوزيد على قناعة تامة بأن الانتفاع العملي بنتائج هذه الدراسة لمكافحة ظاهرة الثأر سوف يعود بالفائدة على أطراف أساسية وهي الحكومة وسياساتها في التنمية وتمكينها من تفعيل مبدأ سيادة القانون في دولة مدنية. وينعكس التوظيف العملي لنتائج الدراسة إيجاباً أيضاً على حياة المبحوثين ، حيث يمكن أن يساهم ذلك في تغيير نوعية الحياة لديهم للعيش الكريم في أمان، وسوف يستفيد البحث الأنثروبولوجي أيضاً من هذا التوظيف العملي لبحوثه بتطوير معرفته وأدواته وقدرات باحثيه في إطار خدمة التنمية وحل المشكلات المستعصية إلى جانب التراكم المعرفي الذي يفيد العلم نظرياً ومنهجياً. هذا موقف علمي يتمتع بمصداقية كبيرة في بناء علاقة جيدة بين العلم والسياسة تصب في مصلحة المجتمع.

2.6. تغير علم الأنثروبولوجيا في السنوات الأخيرة، وتوسعت ميادينه، وتقول ألن جرونبوم: «لقد تغير من دراسة الثقافات والإثنيات إلى مجالات أرحب، فأنا في كليتي يقوم طالب بدراسة عن مدمني المخدرات ليعرف لماذا يقومون بذلك؟ وماذا يفعلون إذا أصيبوا بالإيدز؟ يجلس معهم يسألهم ويقوم بمراقبتهم (المقابلة والملاحظة) وقد خرج بمعلومات مهمة جداً عن أسباب تعاطيهم للمخدرات حتى يتفهمهم الناس. فالأسباب معظمها اجتماعية وتساعد كثيراً على علاجهم وعلى تجنيب أجيال جديدة مشكلة الإدمان». (خواني، 2017، 334).

3.6. دراسات حول الجريمة والانحراف في الأحياء السكنية الجديدة: أظهرت الدراسات الأنثروبولوجية التي اعتمدت الاستبيان والمقابلة كأدوات للدراسة أن السبب الرئيسي يتمثل في عدم التجانس الثقافي والاجتماعي بين السكان أي في المجال العمراني وتوزيع السكنات من الواجب مراعاة تشييد المشروعات السكنية حسب خصوصية المناطق سواء من الناحية التضاريسية، الاجتماعية، والثقافية، كما يجب خلال عملية توزيع السكنات مراعاة تجانس الأسر المستفيدة بمعنى متقاربة المستويات الاجتماعية والثقافية ومتقاربة المناطق للحد من ظاهرة الانحراف والإجرام.

4.6. دراسة روث بنديكت: ميدان الدراسة قبائل "بيما Pima " من خلال تحليل الأنماط الثقافية السائدة والنظم الاجتماعية المختلفة ومدى تأثيرها في تكوين شخصية الفرد من خلال كتابها "الأنواع السيكولوجية في ثقافات الجنوب الغربي" الذي نشر سنة 1928 وقد استعانت في هذه الدراسة بالاخباريين الذين ينتمون للثقافة محل الدراسة وعاشوا في الو.م وانطلقت من افتراض عام هو أنه لا يفهم تأثير الثقافة بمختلف نظمها وانماطها إلا إذا درست كأنماط متكاملة. وأن الثقافة ما هي إلا صيغ ومكوّنات تتكامل في اطار نسق عام مهيمن على سلوك الفرد (شخصيته) في المجتمع. اختارت "روث بنديكت" ثلاث أنماط ثقافية رئيسية في دراستها وهذه المجتمعات هي قبائل بيبليو Publeo، الدوبو Dobu، و كواكيوتل Kwakiutl. (الغامري، 1989، 65-69)

1.4.6. تحليل النمط الثقافي لمجتمع بيبليو Publeo: لاحظت "بنيدكت" أن ثقافة "بيبليو" تتميز بصفات الوقار والاتزان مع المحافظة على السلوك المعتدل. وهذا يعني أن ثقافة هذا المجتمع قائمة على سماة وخاصيات منتقاة تعمل على توجيه السمات الأخرى السلبية المتناقضة لخاصية السلوك الهادئ، وهذا ما لاحظته خلال استغراقهم الكلي في الحفلات الشعائرية والرقص وطريقة تأديتهم لعبادتهم وطقوسهم واعتقادهم في السحر، وخاصة في ربطهم بين نزول المطر وخصوبة الأرض. كما يلجأ أفراد هذا المجتمع إلى ممارسة أنواع من العذاب بغية الحصول على نجاح معيّن كما يستعينون بأنواع من المخدرات حتى يستطيعوا الاستغراق في الخيال وتصور حدوث أشياء خارقة. (الغامري، 1989، 65-66)

2.4.6. تحليل النمط الثقافي لمجتمع الدوبو Dobu: يوجد بجزر صغيرة محاذية للساحل الجنوبي الشرقي لغينيا الجديدة. يتميز المضمون الثقافي والسلوكي لسكان "دوبو" بمجموعة من الصفات هي الشك والريبة، الميل للنزاع، الشعور العدواني، الفوضى وعدم خضوعهم لسلطة عليا، فقدان التنظيم السياسي والقانوني، اعتداء بعضهم على بعض كأن يقوم بعضهم بتدمير المحاصل الزراعية للآخر. أما من الناحية الاجتماعية فإن الأسرة تتميز بقيام الزوج بدور الدليل والخضوع للزوجة. تمجد الملكية الخاصة عن العامة (تحديد المكانات والأدوار) إلى درجة يمكن التضحية والاعتداء على ملكية الآخرين من أجل الحفاظ أو زيادة الملكية الخاصة والشك المتبادل وسوء النية في المعاملات الاقتصادية والاجتماعية. أما التبادل التجاري فيتم بين 12 جزيرة ومكانة كل عضو متوقفة على حجم التبادل من نوعية وحجم السلع التي يحصل عليها وهذا التبادل قائم على أساس شخص مع شخص وليس جزيرة مع جزيرة.

3.4.6. تحليل النمط الثقافي لمجتمع كواكيوتل: يتميز سلوك أفراد هذا المجتمع بالتطرف والميل نحو العزلة والانطواء وفي نفس الوقت إلى التنافس، نشاطهم الثقافي ممثل في الرقص تحت رعاية جمعيات دينية وتعرف هذه الجمعيات الدينية بإسم Cannibal لأكلهم لحوم البشر كتعبير عن سلوكهم العنيف في نظامهم الثقافي. الملكية عندهم ما هو موروث والثروة، أما اعتقادهم حول الموت فهم يرون أن الموت اهانة عظيمة سواء كانت عن طريق المرض أو القتل وللتخلص منها يستخدمون ما يسمى بطريقة "صيد الرؤوس" والتي تعني أنه عند وفاة شخص يقتل بدلا عنه شخص آخر يساويه في المكانة والمركز الاجتماعيين وذلك بهدف نقل الحزن إلى أسرة أخرى وتقيم الحداد على الميت عوضا عن الأسرة الأولى. وبهذه الطريقة يتم التخلص من إهانة الموت والمحافظة على مركز الشخص الأول ومكانته الاجتماعية. (الغامري، 1989، 68-69)

7. الخلاصة:

تعد الأنثروبولوجيا علم منهجي والبحث الميداني من أهمّ مقومات نجاحه، وهذا يتطلّب من الباحث معرفة الطريقة التي عليه أن يستخدمها، واضعاً نصب عينيه أنّ المشكلة التي يدرسها، هي في الأساس مشكلة إنسانية. كما أنّ الواجب البحثي يقتضي أن يتمتّع الباحث، بدرجة عالية من الحساسية اتجاه قيم الناس الذين يتعامل معهم، ومعرفة القوانين التي تحكم سلوكياتهم وأساليب التعامل معهم، وهذا ما يتيح له بناء علاقة وديّة معهم، وتسهّل عليه بالتالي عملية الحصول على ما يريده من معلومات التي تخدم الدراسة، وبالتالي استخدام الأداة أو الأدوات التي تتناسب وطبيعة المجتمع المبحوث.

الإحالات والمراجع:

- انجرس، موريس (2004). *منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية – تدريبات عملية*. ط2. تر: سعيد سبعون وآخرون. الجزائر: دار القصبة للنشر.
- أبو هلال، أحمد (1974). *مقدّمة في الأنثروبولوجيا التربوية*. الأردن: المطابع التعاونية.
- أبو علام، رجاء محمود (2006). *مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية*. ط5. مصر: دار النشر للجامعات.
- أبو زيد، أحمد وزملائه (1965). *الثأر، دراسة أنثروبولوجية بإحدى قرى الصعيد*. مصر: منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.
- بوحوش، عمار والذنيبات، محمد محمود (2007). *مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث*. ط4. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- الجباوي، علي (1997). *الأنثروبولوجيا – علم الإناسة*. جامعة دمشق.
- هرسكوفيتز، ج ميلفيل (1974). *أسس الأنثروبولوجيا الثقافية*. تر: رباح النفاخ. دمشق: وزارة الثقافة.
- وصفي، عاطف (1981). *الأنثروبولوجيا الاجتماعية*. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- حفيظي، سليمة (2014). *محاضرات في المنهجية وتقنيات البحث*. قسم العلوم الاجتماعية. جامعة بسكرة.
- كلاكهون، كلايد (1964). *الإنسان في المرآة*. ترجمة : شاكر سليم. بغداد.
- مزيان، محمد (1999). *مبادئ في البحث النفسي والتربوي*. ط2. الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع.
- محجوب، محمد عبده (2005). *طرق ومناهج البحث السوسيوأنثروبولوجي*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- مروان، عبد المجيد إبراهيم (2000). *أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل العلمية*. ط1. الأردن: مؤسسة الورق.
- ناصر، ابراهيم (1985) *الأنثروبولوجيا الثقافية* – علم الإنسان الثقافي. عمان.
- عبد المعطي، عبد الباسط (2006). *البحث الاجتماعي- محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجيه وأبعاده*. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- عبيدات، محمد وآخرون (1999). *منهجية البحث العلمي*. ط2. عمان: دار وائل للنشر والتوزيع.
- العسكري، عبود عبد الله (2004). *منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية*. ط2. دمشق: دار التمير.
- شاكر، سليم (1981). *قاموس الأنثروبولوجيا* . جامعة الكويت.

- خواني، خالد (2017). واقع اهتمامات الأنثروبولوجيا التطبيقية في الدراسات العربية. *مجلة التغير الاجتماعي*. العدد 3. 315-336.

- الغامري، محمد حسن (1989). *المدخل الثقافي في دراسة الشخصية*. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

- غانم، عبد الله عبد الغني وآخرون (1989). *المدخل إلى علم الإنسان*. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

-Kakal, Hygin. (2008). *Contribution à la recherche qualitative : cadre méthodologique de rédaction de mémoire*. Université de France.

-Kaufmann, Jean Claude (1995). *Corps des femmes : Regars d'hommes.* Nathan «Essais & recherches». Paris.

-Nicholson, C (1968*). Anthropology and Education.* London.

-Pretti, Pelto (1970). *Anthropology Research ,* London.